

سورة العاديات

هي إحدى عشر آية وهي مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة "والعاديات" بمكة. وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، والعاديات تعدل نصف القرآن" وهو مرسل. وأخرج محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس مرفوعاً مثله، وزاد "وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن". 1- "العاديات" جمع عادية، وهي الجارية بسرعة، من العدو؛ وهو المشي بسرعة، فأبدلت الواو ياء لكسر ما قبلها كالغازيات من الغزو، والمراد بها الخيل العادية في الغزو نحو العدو، وقوله: "صبحاً" مصدر مؤكد لاسم الفاعل، فإن الصبح نوع من السير ونوع من العدو، يقال صبح الفرس: إذا عجا بشدة، مأخوذ من الصبح، وهو الدفع، وكان الحاء بدل من العين. قال أبو عبيدة والمبرد: الصبح من إصباحها في السير ومنه قول عنتر: والخيل تكدح في حياض الموت صبحاً ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال: أي صابحات، أو ذوات صبح، ويجوز أن يكون مصدراً لفعل محذوف: أي تضح صبحاً، وقيل الصبح: صوت حوافرها إذا عدت، وقال الفراء: الصبح صوت أنفاس الخيل إذا عدت. قيل كانت تكعم لثلاً تصهل فيعلم العدو بهم، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة، وقيل الصبح: صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو ليس بصهيل. وقد ذهب الجمهور إلى ما ذكرنا من أن العاديات صبحا هي الخيل، وقال عبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي: هي الإبل، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب: فلا والعاديات غداة جمع بأيديها إذا صدع الغبار ونقل أهل اللغة أن أصل الصبح للثعلب فاستعير للخيل، ومنه قول الشاعر: تضح في الكف صباح الثعلب

2- "فالموريات قدحا" هي الخيل حين توري النار بسنابكها، والإبراء إخراج النار، والقصد الصك، فجعل ضرب الخيل بحوافرها كالقدح بالزناد. قال الزجاج: إذا عدت الخيل بالليل أصاب حوافرها الحجارة انقدح منها النيران والكلام في انتصاب قدحاً كالقلم في انتصاب صبحاً، والخلاف في كونها الخيل أو الإبل كالخلاف الذي تقدم في العاديات. والراجح أنها الخيل كما ذهب إليه الجمهور، وكما هو الظاهر من هذه الأوصاف ما في ذلك من الخلاف بين الصحابة.

3- "فالمغيرات صبحاً" أي التي تغير على العدو وقت الصباح، يقال أغار يغير إغارة إذا باغت عدوه بقتل أو أسر أو نهب وأسند الإغارة إليها وهي لأهلها للإشعار بأنها عمدتهم في إغارتهم،

سورة العاديات

وانتصاب صباحاً على الظرفية.

4- "فأثرن به نقعاً" معطوف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل، إذ المعنى: واللاتي عدون فأثرن، أو على الصفات أسماء موصولة، فالكلام في قوة: واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن، والنقع: الغبار الذي أثرته في وجه العدو عند الغزو، وتخصيص إثارته بالصبح لأنه وقت الإغارة، ولكونه لا يظهر أثر النقع في الليل الذي اتصل به الصبح. وقيل المعنى: فأثرن بمكان عدوهن نقعاً، يقال ثار النقع وأثرته: أي هاج أو هيجته. قرأ الجمهور "فأثرن" بتخفيف المثلية. وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبيدة بالتشديد: أي فأظهرن به غباراً. وقال أبو عبيدة: النقع رفع الصوت، وأنشد قول لبيد: فمتى نقع صراخ صادق يجلبوها ذات جرس وزجل يقول حين سمعوا صراخاً أجلبوا الحرب: أي جمعوا لها. قال أبو عبيدة: وعلى هذا رأيت قول أكثر أهل العلم انتهى. والمعروف عند جمهور أهل اللغة والمفسرون أن النقع الغبار، ومنه قول الشاعر: يخرجن من مستطار النقع دامية كأن أذنايها أطراف أقلام وقول عبد الله بن رواحة: عدمتنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع من كنفني كداء وقول الآخر: كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه وهذا هو المناسب لمعنى الآية، وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى، فإن قولك أغارت الخيل على بني فلان صباحاً فأثرن به صوتاً، قليل الجدوى مغسول المعنى بعيد من بلاغة القرآن المعجزة. وقيل النقع: شق الجيوب، وقال محمد بن كعب: النقع ما بين مزدلفة إلى منى، وقيل إنه طريق الوادي. قال في الصحاح: النقع الغبار، والجمع أنقاع، والنقع محبس الماء، وكذلك ما اجتمع في البئر منه، والنقع الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء.

5- "فوسطن به جمعاً" أي توسطن بذلك الوقت، أو توسطن ملتبسات بالنقع جمعاً من جموع الأعداء، أو صرن بعدوهن وسط جمع الأعداء، والباء إما للتعدية، أو للحالية، أو زائدة، يقال وسطت المكان: أي صرت في وسطه، وانتصاب جمعاً على أنه مفعول به، والفاءات في المواضع الأربعة للدلالة على ترتب ما بعد كل واحدة منها على ما قبلها. قرأ الجمهور "فوسطن" بتخفيف السين، وقرئ بالتشديد.

6- "إن الإنسان لربه لكنود" هذا جواب القسم، والمراد بالإنسان بعض أفراده، وهو الكافر، والكنود: الكفور للنعمة، وقوه: لربه متعلق بكنود، قدم لرعاية الفواصل، ومنه قول الشاعر: كنود لنعماء الرجال ومن يكن كنوداً لنعماء الرجال يبعد أي كفور لنعماء الرجال، وقيل هو الجاحد للحق، قيل إنها إنما سميت كنده لأنها جحدت أباهاً. وقيل الكنود مأخوذ من الكند، وهو القطع، لأنه قطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر. يقال كند الحبل: إذا

سورة العاديات

قطعه، ومنه قول الأعشى: وصول حبال وكنادها وقيل الكنود البخيل، وأنشد أبو زيد: إن نفسي لم تطب منك نفساً غير أني أمسي بدين كنود وقيل الكنود الحسود، وقيل الجهول لقدره، وتفسير الكنود بالكفور للنعمة أولى بالمقام، والجاحد للنعمة كافر لها، ولا يناسب المقام سائر ما قيل.

7- "وإنه على ذلك لشهيد" أي وإن الإنسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه به لظهور أثره عليه، وقيل المعنى: وإن الله جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد، وبه قال الجمهور. وقال بالأول الحسن وقتادة ومحمد بن كعب.

وهو أرجح من قول الجمهور لقوله: 8- "وإنه لحب الخير لشديد" فإن الضمير راجع إلى الإنسان، والمعنى: إنه لحب المال قوي مجد في طلبه وتحصيله متهاك عليه، يقال هو شديد لهذا الأمر وقوي له: إذا كان مطيقاً له، ومنه قوله تعالى: "إن ترك خيراً" ومنه قول عدي بن حاتم: ماذا ترجى النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاذبها وقيل المعنى: وإن الإنسان من أجل حب المال لبخيل، والأول أولى. واللام في الحب متعلقة بشديد. قال ابن زيد: سمى الله المال خيراً، وعسى أن يكون شراً، ولكن الناس يجدونه خيراً، فسماه خيراً. قال الفراء: أصل نظم الآية أن يقال: وإنه لشديد الحب للخير، الآية كقوله: "في يوم عاصف" والعصوف للريح لا لليوم، كأنه قال: في يوم عاصف للريح.

9- "أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور" الاستفهام للإنكار، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام: أي يفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم، وبعثر معناه نشر وبحث: أي نشر ما في القبور من الموتى وبحث عنهم وأخرجوا. قال أبو عبيدة: بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه. قال الفراء: سمعت بعض العرب من بني أسد يقول: بحت بالحاء مكان العين، وقد تقدم الكلام على هذا في قوله: "وإذا القبور بعثرت".

10- "وحصل ما في الصدور" ما يميز وبين ما فيها من الخير والشر، والتحصيل التمييز، كذا قال المفسرون، وقيل حصل أبرز. قرأ الجمهور "حصل" بضم الحاء وتشديد الصاد مكسوراً مبنياً للمفعول. وقرأ عبيد بن عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم حصل بفتح الحاء والصاد وتخفيفها مبنياً للفاعل: أي ظهر.

11- "إن ربهم بهم يومئذ لخبير" أي إن رب المبعوثين بهم لخبير لا تخفى عليه منهم خافية فيجازيهم بالخير خيراً، وبالشر شراً. قال الزجاج: الله خير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى: إن الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم، ومثله

سورة العاديات

قوله تعالى: "أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم" معناه: أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم. قرأ الجمهور "إن ربهم" بكسر الهمزة وباللام في "لخبير"، وقرأ أبو السماك بفتح الهمزة وإسقاط اللام من ليخبر. وقد أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني في الأفراد وابن مردويه عن ابن عباس قال "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً فاستمرت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت "والعاديات صباحاً" صبحت بأرجلها" ولفظ ابن مردويه: صبحت بمناخرها "فالموريات قدحا" قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً "فالمغيرات صباحاً" صبحت القوم بغارة "فأثرن به نقعا" أثارت بحوافرها التراب "فوسطن به جمعا" صبحت القوم جميعاً. وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عنه قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى العدو فأبطأ خبرها، فشق ذلك عليه، فأخبره الله خبرهم وما كان من أمرهم، فقال: "والعاديات صباحاً" قال: هي الخيل". والضح نخير الخيل حين تنخر "فالموريات قدحا" قال: حين تجري الخيل توري ناراً أصابت سنايكها الحجارة "فالمغيرات صباحاً" قال: هي الخيل أغارت فصبحت العدو "فأثرن به نقعا" قال: هي الخيل أثرن بحوافرها، يقول بعدو الخيل، والنقع الغبار "فوسطن به جمعا" قال: الجمع العدو. وأخرج عبد بن حميد عن أبي صالح قال: تقاولت أنا وعكرمة في شأن العاديات، فقال: قال ابن عباس: هي الخيل في القتال، وضحها حين ترخي مشافرها إذا عدت "فالموريات قدحا" أرت المشركين مكرهم "فالمغيرات صباحاً" قال: إذا صبحت العدو "فوسطن به جمعا" قال: إذا توسطت العدو. وقال أبو صالح: فقلت: قال علي هي الإبل في الحج ومولاي كان أعلم من مولاك. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال: بينما أنا في الحجر جالس إذا أتاني رجل يسأل عن العاديات صباحاً، فقلت: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم، فانقتل عني فذهب إلى علي بن أبي طالب وهو جالس تحت ساقه زمزم، فسأله عن العاديات صباحاً، فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عباس، فقال: هي الخيل حين تغير في سبيل الله، فقال اذهب فادعه لي، فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك، والله إن كان لأول عزوة في الإسلام ليدر، وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون "العاديات صباحاً" إنما العاديات صباحاً من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوقدوا النيران، والمغيرات صباحاً: من المزدلفة إلى منى، فذلك جمع، وأما قوله: "فأثرن به نقعا" فهي نقع الأرض تطؤه بأخفافها وحوافرها.

سورة العاديات

قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي، وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود "والعاديات صباحا" قال: الإبل، أخرجوه عنه من طريق الأعمش عن إبراهيم النخعي. قال إبراهيم: وقال علي بن أبي طالب: هي الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيل، فيبلغ علياً قول ابن عباس: فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. قال ابن عباس: إنما كانت تلك في سرية بعثت. وأخرج عبد بن حميد عن عامر الشعبي قال: تمارى علي وابن عباس في العاديات صباحا، فقال ابن عباس: هي الخيل، وقال علي: كذبت يابن فلانة، والله ما كان معنا يوم بدر فارس إلا المقداد كان على فارس أبلق. قال: وكان يقول هي الإبل، فقال ابن عباس: ألا ترى أنها تشير نقعاً فما شيء تشير إلا بحوافرها. وأخرج عبد بن حميد والحاكم وقال: الخيل "فالموريات قدحا" قال: الرجل إذا أورى زنده "فالمغيرات صباحا" قال: الخيل تصبح العدو "فأثرن به نقعاً" قال: التراب "فوسطن به جمعا" قال: العدو. وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد "والعاديات صباحا" قال: قال ابن عباس: القتال. وقال ابن مسعود: الحج. وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عمرو بن دينار عن ابن عباس "والعاديات صباحا" قال: ليس شيء من الدواب يضح إلا الكلب أو الفرس "فالموريات قدحا" قال: هو مكر الرجل قدح فأورى "فالمغيرات صباحا" قال: غارة الخيل صباحا "فأثرن به نقعاً" قال: غباراً وقع سنايك الخيل "فوسطن به جمعا" قال: جمع العدو. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس "والعاديات صباحا" قال: الخيل صباحها زحيرها، ألم تر أن الفرس إذا عدا قال: أح أح، فذلك صباحها. وأخرج ابن المنذر عن علي قال: الضيح من الخيل الحمحمة، ومن الإبل النفس. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود "والعاديات صباحا" قال: هي الإبل في الحج "فالموريات قدحا" إذا سفت الحصى بمناسبة فضرب الحصى بعضه بعضاً فيخرج منه النار "فالمغيرات صباحا" حين يفيضون من جمع "فأثرن به نقعاً" قال: إذا سرن يثرن التراب. وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عن ابن عباس قال: الكنود بلساننا أهل البلد الكفور. وأخرج ابن عساكر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "إن الإنسان لربه لكنود" قال لكفور. وأخرج عبد بن حميد والبخاري في الأدب والحكيم الترمذي وابن مردويه عن أبي أمامة قال: الكنود الذي يمنع رفده وينزل وحده ويضرب عبده. ورواه عنه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والديلمي وابن عساكر مرفوعاً، وضعف إسناده السيوطي، وفي إسناده جعفر بن

سورة العاديات

الزبير وهو متروك، والموقوف أصح لأنه لم يكن من طريقه.
وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس " وإنه على ذلك لشهيد " قال:
الإنسان " وإنه لحب الخير " قال: المال. وأخرج ابن جرير وابن
المنذر عنه " إذا بعثر ما في القبور " قال: بحث " وحصل ما في
الصدور " قال: أبرز.